السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٤)

« إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ »

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ تَعَالَوا لِنَتَسَاءَلَ : هَلْ تَوَقَّفَ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَ دَائِرَةِ مَكَّةَ.. وَالطَّائِفِ ؟!

أَبَدَاً! إِنَّما عَمَدَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ إِلىٰ تَوْسِيْعِ دَائِرَةِ الدَّعْوَةِ ، دُوْنَ كَلَلٍ وَلا مَلَلٍ ، وَخَاصَّةً عِنْدَ وُفُوْدِ القَبَائِلِ إِلىٰ مَكَّةَ لِزِيَارَةِ البَيْتِ الحَرَامِ .

وَكَانَ كَثِيْرَاً مَا يَقِفُ عَلَىٰ جَبَلِ الصَّفَا ، وَيُنَادِي : « يَا بَنِي فُلانٍ! إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدوا اللهَ ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدون مِنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَنْدَادِ ، وَأَن تُؤْمِنُوا بِي ، وَتَمْنَعُونِي حتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي » .

وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ يَسِيْرُ وَرَاءَهُ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ أَنْ يَنْخَدِعُوا أَوْ يُسْحَرُوا بِأَقْوَالِ المُصْطَفى ﷺ ، فَكَانَ يَقُوْلُ : أَيُّها النَّاسُ! لا يَغُرَّنَّكُم هَذَا عَنْ دِيْنِكُم ، وَدِيْنِ آبَائِكُمْ ، إِنَّما يَدْعُوكُم إلى أَنْ تَسْلَخُوا اللاَّتَ ، والعُزَّىٰ ، مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ،... وَتَنْقَلِبُوا إلىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ البِدَعِ ، وَالضَّلالاتِ ، فَلا تُطِيْعُوهُ ، وَلا تَسْمَعُوا مِنْهُ...!!

* * *

لا تُطِيْعُوا هَذَا فَإِنَّهُ كَذَّابٌ!!

تَعَالَوا يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ لِنُشَاهِدَ لَوْحَةً أُخْرَىٰ ، حَيْثُ المُصْطَفىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ يَقِفُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَيُنَادِي بِالزُّوَّارِ : « يَا أَيُّها النَّاسُ! قُوْلوا : لا إِلَـهَ إلا اللهُ تُفْلِحُوا » .

وَيَأْتِي أَبُو جَهْلٍ وَوَرَاءَهُ بَعْضُ الغِلْمَانِ ، وَالعَبِيْدِ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ؛ أَمَرَ العَبِيْدَ ، وَالغِلْمَانَ أَنْ يَرْمُوا رَسُوْلَ اللهِ بِالحِجَارَةِ ، أَمَّا هُوَ فَقَدْ رَاحَ يَحْثُو التُّرابَ عَلَى الوَجْهِ الشَّرِيْفِ!

ثُمَّ يَلْتَفِتُ نَحْوَ النَّاسِ ، وَيَقُوْلُ : أَيُّها النَّاسُ!

obeikandl.com

لا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِيْنِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيْدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ ، وَلِتَتْرُكُوا اللاَّتَ ، وَالعُزَّىٰ .

وَبَقِيَ الحَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ ؛ حَتَّى أَدْمَوا كَعْبَيْهِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ .

* * *

obeikandl.com

أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَيْأَسَ مِنَّا ؟!

لَـكِنْ : هَلْ يَئِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ دَعْوَةِ القَبَائِلِ ، وَالوُفُوْدِ ؟

أَبَداً! إِنَّمَا المَسْأَلَةُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ :

لَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عليه.. يخْرُجُ في المَوَاسِمِ ، فَيَدْعُو القَبَائِلَ ومَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَجِيْبُ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ دُعَاءَهُ ، فَقَدْ كَان يَأْتِي القَبَائِلَ بِمجَنَّة ، وعُكاظٍ ، وَبِمِنىً ، حتَّى يَسْتَقْبِلَ القَبَائِلَ ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ ،

obeikandi.com

حتَّىٰ إنَّ القَبَائِلَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : مَا آنَ لَكَ أَنْ تَيْأَسَ مِنَّا ؟! مِنْ طُوْلِ مَا يَعْرِض نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ .

* * *

obeikandl.com

إِلَى بَنِيْ هَمَدَانَ... وَبَنِي كِنْدَةَ

وفي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ رَاحَ الرَّسُولُ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِالمَوْقِفِ ، وَكَانَ يَقُوْلُ لَهُمْ : « هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلىٰ قَوْمِهِ ؟! فإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي عَزَّ وَجلَّ » .

فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمَدَانَ ، فَقَال : « مِمَّنْ أَنْتَ ؟ » .

فَقَالَ الرَّجُل : مِنْ هَمَدَانَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَة ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإسْلامَ ، فَأَسْلَم ، ثُمَّ إنَّه خَافَ أَنْ يُحَقِّره قَوْمَهُ ، فَوَعَدُهُ الحَجَّ مِنْ قَابِلٍ .

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إلى قَوْمِهِ ، فَعَرضَ عَلَيْهِمُ الإسْلامَ ، وَفي العَامِ القَادِمِ جَاءَهُ وَفْدٌ مِنْ أَفْرَاد القَبِيْلَةِ مُسْلِمِيْنَ .

ثُمَّ انْطَلَقَ المُصْطَفى ﷺ إلى قَبِيْلَةِ كِنْدَة ، وذَلِكَ في مَنَازِلِهِمْ بِعُكاظ ، فَلَمْ يَأْت حَيًّا مِنَ العَرَبِ كَانَ أَلْيَن مِنْهُمْ .

فَلَمَّا رَأىٰ لِيْنَهُمْ وَقُوَّةَ جَبهِهِمْ[1] لَهُ ، جَعَلَ يُكَلِّمُهُمْ ، وَيَقُوْلُ :

« أَدْعُوكُم إلىٰ الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَنْ

---

(١) أيْ : قوة ردِّهم ، وتحمُّلهم للمكروه ونحو ذلك .

تَمْنَعونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُم ، فَإِنْ أَظْهرْ ؛ فَأَنْتُم بِالخِيَارِ » .

فَقَالَ عَامَّتُهُمْ : مَا أَحْسنَ هَذَا القَوْل! وَلَـٰكِنَّا نَعْبُدُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤنا!

فَقَالَ أَصْغَرُ القَوْمِ : يَا قَوْم! اسْبِقُوا إلى هَذَا الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تُسْبَقُوا إليه ، فَوَاللهِ! إِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ لَيُحَدِّثُوْنَ : أَنَّ نَبِيًّا يَخْرُجُ مِنَ الحَرَمِ قَدْ أظلَّ زَمَانُه ـ أَيْ : قَدِ اقْتَرَبَ ـ .

فَقَالَ أَحَدُهُم : أَمْسِكُوا عَلَيَّ ، أَخْرَجَتْهُ عَشِيْرَتُهُ ، وَتُؤْونَهُ أَنْتَم ؟! تَحْمِلُونَ حَرْبَ العَرَبِ قَاطِبَةً ، لا! ثُمَّ لا!

فَانْصَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْهُم حَزِيْناً ، وَانْصَرَف القَوْمُ إلىٰ قَوْمِهِمْ فَخبَّروهُم .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ : وَالله! إِنَّكم مُخْطِئون ، لَوْ سَبَقْتُمْ إلى هَذَا الرَّجُل ؛ لَسُدْتُم العَرَبَ ، وَنَحْنُ نَجِدُ صِفَتَهُ في كِتَابِنَا .

فَقَالُوا : وَمَا هِيَ صِفَاتُهُ ؟

قَالَ اليَهُودِيُّ : نجد صِفَتَهُ في كِتَابِنَا ، وَدَارُ هِجْرتِهِ يَثْرِبُ...

* * *

obeikandl.com

دَعْوَةٌ... . لا تَخْضَعُ لِلْكَلَلِ وَلاَ لِلْمَلَلِ!!

وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الصُّعُوبَاتِ الَّتي كَانَتْ تَعْتَرِضُ دَعْوَتَهُ صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ كَانَ دَؤُوباً علىٰ تَبْلِيْغِهَا ، حَرِيْصَاً علىٰ إِيْصَالِ صَوْتِ الحقِّ إلى كُلِّ القَبَائِلِ .

فَقَدْ دَعَا قَبِيْلَةَ عَبْسٍ مَثَلاً ، وَكَانَت هَذِهِ اللَّقَطاتُ :

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكَبُ علىٰ رَاحِلَتِهِ ، وَيُرِدِفُ خَلْفَهُ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ ، فجاء إلى وَفْدِ عَبْسٍ ، وَدَعَاهُمْ إلى تَوْحِيْدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَاقْتَنَعَتْ عُقُولُهُم ، لَـٰكِنَّ وَاحِداً مِنْهُم قَالَ لَهُمْ : ويحكم لَقَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ؛ فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ بِهِ أَنْتُم ؟!

أَمَّا مَيْسَرةُ ـ وَكَانَ وَاحِداً مِنْهُمْ ـ فَقَدْ قَالَ : مَا أَحْسَنَ كَلامَكَ وَأَنْوَرَهُ!

وَلَـٰكِنَّ قَوْمِي يُخَالِفُونَنِي ، وإِنَّما الرَّجُلُ بِقَوْمِهِ.

فَانْصَرَفَ رَسُوْلُ الله صَلَواتُ الله عَلَيْهِ ، وَعَادَ وَفْدُ عَبْسٍ باتِّجَاه رِحَالِهِمْ ، وَقُرْبَ مِنْطقَةِ (فَدَكَ) قَالَ مَيْسَرَةُ : مِيْلُوا بِنَا إلىٰ فَدَك ، فَإِنَّ بِهَا يَهُودَ ، نُسَائِلُهُم عَنْ هَذَا الرَّجُلِ .

فَمَالُوا إلىٰ يَهُود ، فَأَخْرَجُوا سِفْراً لَهُمْ ، فَوَضَعُوه ، ثُمَّ دَرَسُوا ذِكْرَ رَسُوْلِ الله النَّبِيِّ الأُمِّيِّ : يَرْكَبُ الجَمَلَ ، ويَجْترىء ـ أَيْ : يَكْتَفِي ـ

بِكسْرَةِ الخُبْزِ ، وَلَيْسَ بِالطَّوِيْلِ ، وَلا بِالقصيرِ ، وَلا بالجَعْدِ وَلا بالسَّبْطِ ، في عَيْنَيْهِ حُمْرةٌ ، مُشَرَّبُ اللَّون ، فإنْ كَانَ هُوَ الَّذي دَعَاكُم ، فَأَجِيْبُوهُ ، وَادْخلوا في دِيْنِهِ ، فَإِنَّا نحسُدُه ، فَلا نَتَّبعُه ، وَلَنَا مِنْهُ في مَوَاطِنَ بلاءٌ عَظِيمٌ ، وَلا يَبْقَىٰ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ إلا اتَّبَعَهُ ، أَوْ قَاتَلَهُ .

* * *

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الدَّاعِيَةُ أَبَداً

لَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ تَعَالوا نَتَساءَلْ : هَلْ تَسَلَّـلَ اليَـأسُ إلـى قَلْـبِ الـدَّاعِيَـةِ الأَوَّلِ رَسُولِ الله ﷺ ؟ وَهَل تَوَقَّفَ عَنْ دَعْوَتِهِ ؟

أبَداً! إنَّمَا اسْتَمَرَّ ، وَلَقَدْ دَعَا بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وبَني حَنِيْفَة ، وَعَبْساً ، وَبَنِيْ كَلْبٍ ، وَبَنِي مُحَارِبٍ ، وَبَنِي شَيْبَةَ ، و... .

كَمَا كَانَ يُرَكِّزُ علىٰ دَعْوَةِ الأشْرَافِ ، كَسُوَيْدِ ابْنِ الصَّامِتِ ، وَالطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا.....

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنِ